شجرة آن فرانك

شجـرة آن فرانك تـزرع في مونتريال في كندا، والإعلام الغربي يثير حول ذلك ضجّة تحتل الصفحات الأولى.

ما هذه الشجرة؟ هي شجرة كستناء نمساوية ورد ذكرها في كتاب «يوميات آن فرانـك» الذي يتضمّن يوميات مراهقة نمساويـة اختبأت مـع أهلها وأربعة من اليهـود في قبو خلفي لمصنـع أبيها، قبل أن يُكتشَف أمرهم، ويُرسَلوا إلى معتقل في بيرجن بيرسـن في شمالي ألمانيا، حيـث توفيت الصبية بعد عام.

وعلـى الرغم من كل ما أكده المحققـون التاريخيون من تزييف هـذا الكتاب، فإنه ظل واحدًا من الكتب الأكثر قراءة في العالم.

البرهـان بسيـط، فالمسـودة مكتوبة بالحـبر الناشف، وهـو قلم لم يكـن بعد مكتشفًا خلال عـام ١٩٤٤ تاريخ كتابة المذكـرات، هذا فضـلًا عن أن اللغة العاليـة والناضجة التي كُتِبت بها أبعد ما تكون عن أسلوب طفلة مراهقة.

غـير أن كل ذلك لا يهـمّ، عندما يكـون العمل حلقة من سلسلة منظمة ومحكمة لتحقيق أهداف محددة وواضحة.

ولنعد إلى شجرة الكستناء التي كانت كما يفترض في الحديقة، ووصفتها الصبية مرارًا، كبرت الشجرة التي تحولت إلى أيقونة، وسقطت في نهاية أغسطس الماضي، غير أن المصادر اليهودية أعلنت أن ذلك كان متوقعًا، ولذلك قُصَّت أغصان منها؛ لإعادة زرعها في أكثر من مدينة في العالم، منها اثنا عشر غصنًا حصة أمريكا الشمالية. واحد من هذه الأغصان «المقدسة» سيزرع في حديقة البيت الأبيض، وآخر هو ما زرع في مونتريال قبل يومين ليتم الاحتفال بذلك عالميًّا، عبر مئات التقارير التي تعيد كلها قصة آن فرانك والهولوكوست.

يتمّ ذلك في إطار الترتيب المنظم لافتعال متواصل لأي أحداث توظّف للتذكير بالهولوكوست تحقيقًا لأهداف عدة، منها ما هو موجّه إلى العالم، ومنها ما هو موجه إلى الغرب تحديدًا، ومنها ما هو موجّه إلى اليهود أنفسهم، فإلى العالم تعمل الآلة اليهودية العالمية الصهيونية على تثبيت عذر دائم لإسرائيل فيما ترتكبه في فلسطين، وتثبيت صورة الضحية على وجه المجرم مهما بلغت جريمته.

وإلى الغرب، تريد أن تثبت لديه أولًا عقدة الذنب التي تجعله يقدم كل دعم ممكن للدولة العبرية، بإحساس التعويض الملزم الذي لن يبلغ مهما بلغ حد التكفير، كما

تجعلـه يتقبل مـن دون حدود الهيمنـة اليهودية علـى قراره السياسـي والاقتصادي، وها نحن نـرى في بريطانيا أخوين يهوديـين يتنافسان على منصب زعامة حـزب العمل بعد أن رأينـا في فرنسـا مرشحين تنافسـا على الرئاسـة: أحدهما يهـودي والآخـر نصف يهـودي «دومينيك ستروس كان عن الحـزب الاشتراكي ونيقـولا ساركوزي عن اليمـين»، دون أن يتجرأ فرنسي على الاعتراض على مقولة الأول: لقد اعتنقت السياسة؛ لأخدم إسرائيل.

أما الرسالة الثالثـة التي يهدف إليها هذا الترتيب فهي موجهـة إلـى اليهـود أنفسهـم: إن لم تلتفّوا بمـا يكفي حول الصهيونيـة ودولتهـا فسيكون مصيركم المحتـم هولوكوستًا جديدًا.

رسائل إذا ما وضعناها في سياق المرحلة الراهنة، فهمنا لمـاذا اختـارت الشجرة هـذا الموعـد لتسقط، ولمـاذا اختار سدنتهـا برنامـج استزراعهـا في عواصم العـالم، خاصة في أمريكا الشمالية.

مـن عملية الاستقطاب حول مطلـب يهودية الدولة، إلى عمليـة التغطيـة على تـأزم مسالـة الاستيطان، إلـى عملية الضغـط المتزايـد في مسألـة المفاوضـات المباشـرة، وكل ما تتناولـه من ثلاثية الحقوق الفلسطينية التي يفترض أن تظلّ

ثوابت لا تنازل عنها، إلى تصليب الموقف الدولي من الموضوع النووي الإيراني الذي يصفه اليهود بهولوكوست جديد، وأخيرًا إلى استقطاب تأييد دولي «وخاصة أمريكيًّا» لأي مشروع حرب إسرائيلية قادمة في المنطقة.

ليس المهم أن نفهم اللعبة، فالمعرفة التي لا تنفع كالجهالة التي لا تضر.

ألم يحن الأوان لأن يفكر العرب، عقلاؤهم وأثرياؤهم، وخبراؤهم والإعلاميون الذين يجمعون المهنية العالية إلى جانب الوعي العالي الذي يتجاوز التكنوقراطية والتعلق بالراتب والمكاسب في إنشاء مرصد إعلامي يقرأ اللعبة، ويضع الخطط للتصدي لها، بل للهجوم المعاكس؟

كم من شجرة وغابة فلسطينية، وكم من آن فرانك اسمها مريم أو ليلى، ولكن كم من عمل منظم يعرف كيف يوظف؟

شعر:

زمانُك بستانٌ وروضُك أَخْضرُ ... وذكراكَ عصفورٌ من القلب ينقرُ

نساءُ فلسطينَ تكحلْنَ بالأسى ... وفي بيتِ لحم قاصراتٌ وقُصَّرُ

وليمونُ يافا يابسٌ في أصولِه ... وهلْ شجرٌ في قبضةِ الظلمِ يثمرُ؟!